



تعليمية النص الأدبي في الجامعة وطريقة تلقيه

- دراسة في ضوء نظرية التلقي -

Teaching the literary text at the university and the way it is received

- Study in the light of receiving theory -

وردة حلاسي*

جامعة قالمة (الجزائر)

hallaci.warda@univ-
guelma.dz

ملخص:	معلومات المقال
يمثل النص الدعامة الأساسية في التدريس بشتى تخصصاته عامة، وبالتالي فتعليم النص الأدبي في الجامعة له دوره الكبير في تكوين المتعلم/المتلقي، وتوسيع معارفه ومهاراته اللغوية، ومن هذا المنطلق تهدف الدراسة إلى البحث عن بدائل منهجية وبيداغوجية على مستوى التوصيل والتبليغ، وتجعل من تعليمية النص عامة والأدبي خاصة، مادة مشوقة يتفاعل معها طالب اللغة العربية وآدابها، ويعمل على كشف خبايا النص وجمالياته الفنية. وانتهت الدراسة إلى التأكيد على أهمية القراءة الواعية، التي تعمل على تطوير الذات المتعلمة مع التركيز على دور القارئ/المتلقي/المتعلم فيها.	تاريخ الارسال:
	2021/11/03
	تاريخ القبول:
	2022/06/20
	تاريخ النشر:
	2023/03/26
	الكلمات المفتاحية:
	✓ النص الأدبي:
	✓ الجامعة:
	✓ نظرية التلقي:
Abstract :	Article info
The text represents the mainstay of teaching in all its disciplines in general, and therefore the education of the literary text at the university has a great role in the formation of the learner/recipient and the expansion of his knowledge and language skills, and from this point of view the study aims to seek systematic and pedagogical alternatives at the level of delivery and reporting, and makes the teaching of the text in general and literary in particular, an interesting subject with which the student of The Arabic language and literature interacts, and works to uncover the mysteries of the text and its artistic aesthetics. The study concluded by emphasizing the importance of informed reading that develops the educated self with a focus on the role of the reader/recipient/learner.	Received
	03/11/2021
	Accepted
	20/06/2022
	Keywords:
	✓ literary text
	✓ university
	✓ receiving theory

1. مقدمة

يعدّ النصّ عامّة ركيزة أساسية ودعامة يستند عليها المتعلّم والمعلّم على السواء، بل العملية التعليمية ككل، فهو وحدة تعليمية تجمع في طياتها معارف عديدة: لغوية وتربوية ونفسية واجتماعية وثقافية... ليصير بذلك النص وحدة معرفيّة تتفاعل في رحمتها معارف لسانية وغير لسانية، تتميّز بخاصية الزمان والمكان، ويعدّ النص التعليمي قاعدة أساسيّة في الدرس اللغوي وآلية مساعدة على التحصيل اللغوي عن طريق القراءة، التي هي أداة تعليمية تعليميّة يتحقّق من خلالها النقل التعليمي الديدانكي للمعارف.

وللنصّ التعليمي أهمية في دراسة الأدب وتربية ذوق المتلقّي/المتعلّم الأدبي، وتعرّفه على مميّزات اللغة وخصائصه، وتنمي ثقافتهم الأدبية وتزودهم بثروة لغوية، وكل هذه الفوائد تدخل ضمن ما يسمى بالتعليمية، وباعتبار النصّ عامّة وحدة تعليمية، فإنّ النصّ الأدبيّ يمثل داخل هذه الوحدة التعليمية منظومة معرفية تتأسّس على المعرفة والجانب النفسي والعاطفي. ومن هنا يأتي الاهتمام بتعليمية النصّ الأدبي في المرحلة الجامعية بالاستناد إلى المرحلة ذاتها، فهي مرحلة مهمة في إعداد طالب الغد، غير أنّ تدريس النصّ الأدبي فيها في وقتنا الحاضر مازال يعرف تعثرا بيداغوجيا وديداكتيكيا على مستوى التوصيل والتبليغ، وغموضا في تحديد المصطلح ومقارنته المنهجية.

وعلى هذا الأساس تبحث هذه الدراسة في تعليمية النصّ الأدبي في الجامعة، وتهدف إلى إبراز مفهوم التعليمية، ومفهوم النصّ الأدبي وإشكالية تعليمية النصّ الأدبي في مرحلة الجامعة في ظل المناهج الكثيرة التي عرفها، وما مدى فاعلية الطالب/المتعلّم/المتلقّي في امتلاك وسائل خرق واقتحام خبايا النصّ الأدبي وجمالياته الفنية؟، وما هو المنهج البديل في دراسة النصّ الأدبي في مجال تعليمية النصوص عامة والأدبية خاصة؟، وكل ذلك في ضوء نظرية التلقي، لإبراز مدى فاعلية نظرية التلقي في دراسة الأدب والنصّ الأدبي.

2. مفهوم التعليمية

جاء في لسان العرب لابن منظور "... عَلِمْتُ الشَّيْءَ أَغْلَمُهُ عِلْمًا: عَرَفْتُهُ... وَعَلِمَ الْأَمْرَ وَتَعَلَّمَهُ: أَتَقَنَّهُ"(ابن منظور، 1988، ص870). أمّا في الاصطلاح فمن الصعب تقديم مفهوم جامع مانع للتعليميّة؛ إذ لكل عالم نظرتة في هذا العلم؛ غير أنّها تشمل "كل ما يمس سير عملية التعليم والتعلم سواء تعلق الأمر بالطرائق والتقنيات والخطوات التي يستعملها المدرس أم تعلق بالمفاهيم والتوجيهات والنظريات، التي تحاور عملية التدريس وتحاول رسم قنوات سيرها"(هيئة تأطير بالمعهد الوطني لتكوين مستخدمي التربية وتحسين مستواهم، 2004، ص45)، أمّا موضوعها فيتمثل في عملية البحث "عن التفاعل الموجود بين النشاطين التعليمي/التعلّمي... وتتمركز حول الفعل التعليمي وارتباطه بالمحتويات ومفاهيمها المتعلقة بها"(هتي، 2005، ص128)، وهذا يعني أنّ موضوعها التعليمية يكمن في دراسة آليات اكتساب وتبليغ المعارف المتعلقة بمجال معرفي معين.

3. مفهوم النصّ الأدبي

تدور دلالة النصّ من الناحية اللغوية حول الرفع والإظهار وذلك وفقا لما جاء في معجم لسان العرب لابن منظور من أنّ "النصّ رَفْعُكَ الشَّيْءَ، وَنَصَّ الْحَدِيثَ يَنْصُهُ نَصًّا: رَفَعَهُ. وكل ما أُظْهِرَ فَقَدْ نُصَّ... يقال نص الحديث إلى فلان أي رَفَعَهُ..."(ابن

منظور، 1988، ص 648)، وفي الاصطلاح تعددت تعريفاته بتعدد مجالات الدراسة من لسانية وتعليمية. فمن الناحية اللسانية هو "تتابع متماسك من علامات لغوية، أو مركبات من علامات لغوية لا تدخل تحت أي وحدة لغوية أخرى" (البحيري، 1997، ص 109)، ومن الناحية التعليمية/البيداغوجية، فهو "وحدة تعليمية تمثل محورا تلتقي فيه المعارف اللغوية" (إبرير، 2007، ص 129). أمّا الأدب، فكما جاء في معجم لسان العرب "الأدب: أدب النفس والدّرس. والأدب: الظرف وحسن التناول. وأدب بالضم فهو أديب من قوم أدباء..." (ابن منظور، 1988، ص 33). ومعنى هذا أنّ الأدب في اللغة يدل على تهذيب النفس، والأدب والظرف وحسن التناول. ويختلف مدلول الأدب في الاصطلاح باختلاف العصور التاريخية ما بين قديمة وحديثة، فـ"هو حفظ أشعار العرب وأخبارها والأخذ منها كلّ بطرف من علوم اللسان، أو العلوم الشرعية من حيث متونها فقط..." (بن خلدون، (دت)، ص 651). ومن ناحية أخرى هو شكل من أشكال التعبير عن النفس الإنسانية من عواطف وأفكار، وبهذا فالنص الأدبي بمعناه العام هو "كلا لغوياً تعبيرياً وتبليغياً في إطار حقل معرفي محدد، إنّه ممارسة لغوية، أو فكرية، أو إبداعية، أو علمية، أو فنية، أو ثقافية، أو تعليمية..." (إبرير، 2007، ص 129). وعليه فالنص الأدبي يتصف من الناحية الإجرائية العملية بالخصائص الآتية:

- يهتم بإيصال الأفكار والمشاعر بطريقة فنية تجذب القراء.

- يعمل على التأثير في المتلقي.

- وحدة تعليمية تواصلية، ذلك أنّ النص "مكونا أساسيا من مكونات العملية التعليمية، باعتبار النص يحمل مضمونا معرفياً ولغوياً، يتطلب من الأستاذ إفهامه للطالب" (المغيلي، 2010، ص 360).

وبهذا فالنص الأدبي، يعدّ فضاء مميّزا لممارسة الفعل التعليمي، غير أنّ حقل تعليمية النصوص الأدبية مازال جديداً، والأبحاث فيه مغمورة ويشوبها نوعاً من الغموض والضبابية، خاصة فيما يخص الآليات المنهجية والمعرفية في تحليل هذه النصوص.

4. إشكالية تعليمية النص الأدبي في مرحلة الجامعة

إنّ المتتبع لعملية تعليمية النص الأدبي في مرحلة ما قبل الجامعة ومرحلة الجامعة في الجزائر، يلاحظ بأنها قد مرّت بثلاث مراحل:

1.4 المرحلة الأولى: وخضعت لنظام برنامج التعليم الذهني وإتباع مسار تلقين المعارف "على أساس أنّ الترتيب تتحقق عن طريق كم من المعارف الجاهزة التي تُقدّم إلى المتعلّم" (مديرية التعليم الثانوي، 1995، ص 7).

2.4 المرحلة الثانية: انتقل فيها النظام التربوي والتعليمي إلى نظام المنهاج، الذي يقوم على أساس بيداغوجية الأهداف، والتركيز على التعلّم بدل التعليم، ودور المتعلم الفعال، وكان من أهدافه العامة "التعمق في فهم اللغة وآدابها، وإجادة توظيفها وتثمين

الصلة بتراث الأمة الفكري واللغوي والأدبي والاعتزاز بعظمة إنجازها الحضاري عبر التاريخ، وترسيخ روح الانتماء والأصالة، والتعمق في فهم المحيط الثقافي والاجتماعي والسياسي والاقتصادي، والتفاعل معه تفاعلاً إيجابياً وإثراء الرصيد المعرفي، والخبرات، وتوسيع مجال الأفكار والاهتمامات... وإذكاء الإحساس بالجمال وتنمية الذوق الفني وتهذيبه... وإكساب منهجية التفكير والعمل... "(مديرية التعليم الثانوي، 1995، ص11).

أما أهدافه الخاصة فتراوحت ما بين الأهداف المعرفية والمهارية والوجدانية، التي تركز على الجانب اللغوي والجانب الأدبي، من خلال دعم المعارف اللغوية للمتعلم، وإكسابه أدوات وآليات الفهم والتحليل والتفسير والتعليل والنقد الموضوعي، والقدرة على استعمال اللغة العربية في التواصل الشفهي والكتابي، وامتلاك الذوق الأدبي والتشبع بالقيم الروحية للأمة... (مديرية التعليم الثانوي والتقني، (دت)، ص7). وكذا "التعرف على فنون الأدب وأغراضه وتطوره... في مختلف العصور، والتعرف على شخصيات أدبية وفكرية طبعت عصرها بإنتاجها الفكري والأدبي المتميز، والإطلاع على نماذج من المؤلفات الكاملة، وأمّهات الكتب في الأدب والفكر، وتنمية مواهب المتعلم الإبداعية وملكة ذوقه الأدبي، والتحكم في المصطلحات الأدبية والفنية وتوظيفها في التحليل والنقد والتعبير والبحث الأدبي" (مديرية التعليم الثانوي، (1995)، ص12).

3.4 المرحلة الثالثة: الانتقال إلى بيداغوجية المقاربة بالكفاءات/منهاج المقاربة بالكفاءات حيث أصبحت تعليمية النص الأدبي تقوم على المقاربة النصية، التي هي من منظور بيداغوجي "مقاربة تعليمية تهتم بدراسة بنية النص ونظامه، حيث تتوجه العناية إلى مستوى النص ككل، وليس إلى دراسة الجملة. إذ إن تعلم اللغة هو التعامل معها من حيث هي خطاب متناسق الأجزاء، منسجم العناصر. ومن ثم تنصب العناية على ظاهرة الاتساق والانسجام التي تجعل النص غير متوقف على مجموعة متتابعة من الجمل، بل تتعدى ذلك إلى محاولة رصد الشروط المساعدة على إنتاج نص محكم البناء متوافق المعنى" (اللجنة الوطنية للمناهج، (دت)، ص14). كذلك المتبع لعملية تعليمية النص الأدبي في مرحلة الجامعة في الجزائر، يلاحظ أنّ الدرس الأدبي في جامعاتنا قد عرف عدّة مفاهيم نقدية أساسية كالذوق، التاريخ، الواقع، الجمال، المؤلف، النص، القارئ... ولكن المنهج اللانصوبي الذي يجمع بين القراءة التاريخية والمقاربة الفنية، بقي هو المنهج السائد والمفضل في الدرس الأكاديمي الجامعي والتعليم الثانوي. وهكذا بقي الباحثون والمدرسون يطبقون في مدارسنا وجامعاتنا منهجا نقديا مرّ عليه قرنان من الزمن بنفس المنوال ونفس الخطة (مفتاح، 1997، ص30).

وبالتالي الحديث في القضايا التي تهم منهجنا التربوي في الحقول التعليمية خاصة في مرحلة الجامعة، باعتبارها مرحلة مهمة في إعداد المتلقي/المتعلم، تعدّ نقطة مهمة، وجب النظر فيها وإعادة تعديلها، خاصة ما تعلّق منها بتعليمية الأدب والنص الأدبي، باعتبار أن النص الأدبي حاضر في جميع الأطوار التعليمية، وكل ضعف يشمل مراحل التعليم يشمل النص الأدبي في الوقت نفسه. خاصة في ظل المتغيرات المتعددة في عصرنا الحالي، والتي أدت إلى انقلاب في طرائق معالجة النصوص الأدبية، وأدت إلى

كثرة التساؤلات حول فهم النص الأدبي وتحليله وقراءته، الأمر الذي أدى إلى البحث عن بدائل جديدة، بغية تحليل وفهم وتذوق النصوص الأدبية. فظهرت المناهج النقدية الحديثة التي ولدت من رحم الدراسات اللغوية الحديثة كالبنوية والأسلوبية والألسنية والسميائية والمقاربة التداولية والتفكيكية...، والتي تناولت النص من زوايا متعددة، غير أنّ هذه المقاربات أصبحت تشكل أزمة في بيان أثرها على دراسة النص الأدبي وتعليمه، وهذا ما أدى في هذه الدراسة إلى اقتراح نظرية التلقي كبديل منهجي في دراسة النص الأدبي وتعليمه، خاصة في مرحلة الجامعة، حيث يعدّ الطالب/المتلقي/المتعلّم العنصر الأساس في العملية التواصلية، بحيث يستقبل النص الأدبي ويقوم بالتفاعل معه والتأثر به.

5. منهج التلقي والتقبل والتأثر كبديل منهجي وإجرائي في تعليمية النص الأدبي

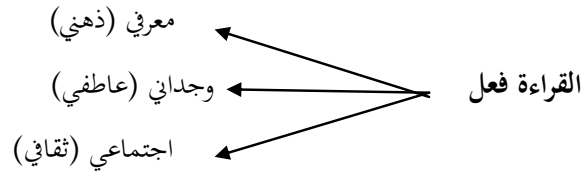
إنّ المتنبع لواقعنا التعليمي في الجزائر يدرك أنّ هناك بعض القصور الواضح في تدريس النص الأدبي، بصورة عامة والقراءة بصورة خاصة، وهذا راجع إلى الإستراتيجيات التي تعالج المحتوى القرائي المقدم للطلبة، إضافة إلى الفهم الخاطئ لمفهوم القراءة في هذه المرحلة التعليمية المهمة، والتي مازالت تقف عند مستوى الفهم السطحي، وعدم التركيز على أهمية القراءة بوصها مهارة لغوية وأداة من أدوات التعليم، التي يعتمد عليها الطالب في تعلمه. الأمر الذي يبعث على ضرورة التأكيد على أهمية القراءة الواعية، التي تعمل على تطوير الذات المتعلمة مع التركيز على دور القارئ/المتلقي/المتعلّم فيها.

فالتركيز على دور القارئ/المتعلّم في نص القراءة من أهم الأدوار، التي تعتمد عليها نظرية التلقي في تنمية مهارات القراءة الناقدة، وهذا ما يؤكد أننا بحاجة ماسة إلى اعتماد هذه النظرية، التي أثبتت فاعليتها الأدبية والنقدية من خلال طرحها لبعض الحلول المنهجية لأزمة البحث في مجال الثقافة والأدب، وفي مجال اللغة العربية، وبهذا كانت نظرية التلقي النموذج الجديد الذي يمكن اعتماده في قراءة الأعمال الأدبية والفنية، غير أنّ الدراسات العربية التي تضمنتها على المستوى التربوي، أو التعليمي تكاد تكون قليلة، وهذا ما دفع هذه الدراسة إلى التركيز على تعليمية النص الأدبي في الجامعة، من خلال اتخاذها من نظرية التلقي وتطبيقاتها التربوية منطلقاً أساسياً في تنمية مهارات القراءة الناقدة لطلبة قسم اللغة العربية في كلية الآداب في الجامعة الجزائرية، خاصة وأنّ الطلبة في كلية الآداب يفتقدون إلى مهارات القراءة الناقدة ذات الصلة بنظرية التلقي، ويركزون فقط على القراءة التحصيلية.

إنّ منهج التلقي والتقبل والتأثر في مجال الأدب عامة، وتعليمية النصوص الأدبية خاصة، يركز على القارئ أثناء تفاعله مع النص الأدبي، باعتباره هو المرسل إليه والمستقبل للنص ومستهلكه، وهو كذلك القارئ الحقيقي له، ويعني هذا أن العمل الأدبي لا يكتمل إلا عن طريق القراءة، التي هي فعل معرفي معقد:

شكل 1:

القراءة فعل معرفي معقد لمقروء هو النص الأدبي



المصدر: (من إعداد الباحثة)

فالقراءة فعل معرفي معقد ينجزه متلق/قارئ/متعلم، لمقروء هو النص الأدبي، الذي يستثمر فيه الثقافي والوجداني. وهذا يجعل النص الأدبي يركز على الملفوظ اللغوي (النص) والتأثير الشعوري (القارئ) في شكل ردود تجاه حمولات النص. وعن طريق القراءة يتحقق النص بصرياً وذهنياً عبر استيعاب النص وفهمه وتأويله. فاستغلال النص الأدبي ومحاولة فهمه وتأويله لا يتم إلاً بوساطة الدور الذي ينهض به القارئ في هذه العملية، باعتباره المعنى بالخطاب، فهو متلقي النص، وهو الذي يضيء أبعاده وعتباته من خلال الوقوف على قيمته ودلالاته بقراءاته الواعية التي تمنح النص أبعاداً وآفاقاً تأويلية لا تنتهي، من خلال اكتشافات جديدة لكونه منتجاً ثانياً له، وهو الذي يفتح آفاقاً هائلة أمام عملية القراءة التي تعتبر شكلاً من أشكال الحوار بين القارئ والنص، ونشاطاً منتجاً يجعل القارئ/المتلقي شريكاً في عملية الإنتاج. وهو ما يميز القراءة الجديدة من القراءة التقليدية القديمة التي لم يكن القارئ فيها منتجاً للمعاني بقدر ما كان مستهلكاً لها، فقد اتسمت بالكرارية والآلية العقيمة التي تنحصر في المعنى القائم في ذهن الكاتب/المعلم، مما جعل القراءة الأدبية تواصلية استهلاكية وليست إنتاجية (حلاسي، 2018، ص 199-200).

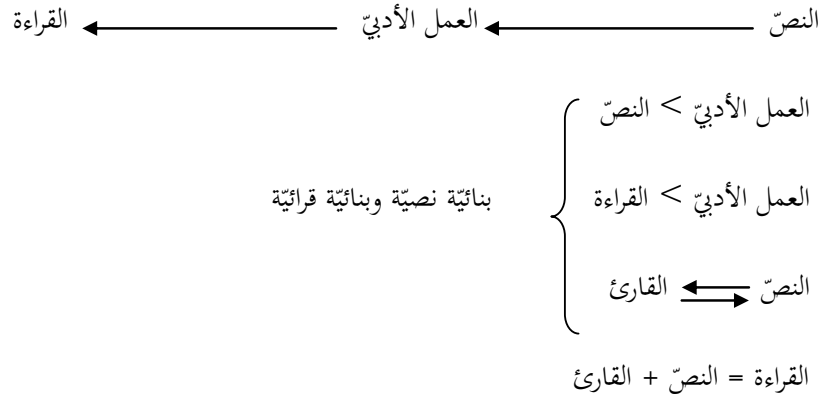
لقد كان هدف نظرية التلقي أن يكون القارئ/المتعلم حراً في استقبال النص. وبالتالي تركيز الاهتمام المطلق على الدور الفعال للمتلقي/المتعلم كذات واعية لها نصيب الأسد من النص وإنتاجه. وبالتالي عندما نتكلم عن كيفية تطبيق إجراءات نظرية التلقي في تعاملها مع النص وكيفية استثماره في ما يخدم النص التعليمي، باعتباره أداة وظيفية فاعلة في إنجاح العملية التعليمية، والتي من بينها تفاعل المتعلم مع النص الوسيلة. نقول: إن ميدان تعليم القراءة قد شهد تغيراً كبيراً في مفهوم القراءة، فلم يعد مفهوم القراءة ينحصر في المفهوم التقليدي القديم الذي ظل سائداً في كليات اللغة والأدب العربي، والذي كان فيه المتعلم مجرد مستهلك خمول، فقد تغير هذا المفهوم بحيث أصبحت القراءة عملية عقلية متنوعة متعددة، ونشاطاً منتجاً يجعل القارئ/المتلقي/المتعلم شريكاً في عملية الإنتاج. وقد انعكس هذا التغير في مفهوم القراءة على طرق تدريس المهارات اللغوية والأدبية على السواء.

ويرجع هذا التغير إلى ظهور تيارات جديدة غيرت النظرة للغة والقراءة وطبيعة عمل الذهن فيها ودور القارئ، ومن بين هذه التيارات/النظريات، التي كان لها دور مؤثر في تطوير القراءة والتركيز على دور القارئ نظرية التلقي، والتي من أبرز ممثليها هانز روبرت ياوس (H. R. Jauss) وفولفغانغ إيزر (WOLFGANG ISEMER). وقد ظهرت نظرية التلقي كنتيجة لتفاعل العديد من النظريات المعرفية والأفكار الفلسفية والتصورات التي ميزت المناهج النقدية والفكرية التي عنيت بقضية الفهم والاستيعاب والتأويل، وخاصة ما يتعلق منها بالنصوص الأدبية، وبتحويل الاهتمام من المؤلف والعمل الأدبي إلى النص والقارئ/المتلقي، لتؤكد على أن التلقي ليس سلبياً، أو آلياً، كما أن القارئ ليس مجرد مستهلك، وإنما منتجاً ثانياً للنص. فالنص في ذاته مجرد إمكانية لا تتحقق إلاً بالمشاركة الفعالة للقارئ، وبتجدد القراءة يتجدد النص وتتعدد معانيه بحسب طبيعة الأسئلة التي ينطلق منها فعل القراءة، كما أن النص لا يكتسب مدلولاته إلاً من خلال تفاعله مع قرائه أثناء عملية القراءة.

وهذا يعني أنّ العمل الأدبيّ يتموقع في الوسط بين النصّ والقراءة، من خلال التفاعل الحميميّ والوجدانيّ الاتصاليّ بين الذات والموضوع، أي النصّ والقارئ كما توضح الخطاطة الآتية:

شكل 2:

تموقع العمل الأدبي بين النص والقراءة



العمل الأدبي ← خطاب لغويّ قابل للقراءة + خطاب فنيّ قابل للتأويل.

المصدر: (حلاسي، 2018، ص200)

وهذا كله كان نفساً لما جاءت به البنيويّة، التي اعتبرت النصّ بنية محدّدة ومغلقة، وأنّ القارئ محكوم بالنصّ ووظيفته لا تتجاوز الكشف عن "شفرة" النصّ وأنساقه المختلفة، وما القراءة إلّا نشاط يهدف إلى الكشف عن أسرار النصّ ونظامه المكون له. وبذلك عدّت أفكارهم تأسيساً لنظرية جديدة في فهم الأدب، فكانت بذلك مدرسة "كونستانس الألمانية" بديل منهجيّ ومنعطف جديد نحو تأسيس أفق مغاير في مجال القراءة والتأويل، فمعها بدأ تعبيد الطريق نحو تكريس الحضور الأكبر للقارئ ولمسألة التأويل.

تمثل نظرية التلقي (Reception Theory) محوراً من محاور نظرية القراءة، والحقيقة التي تشير إليها نظرية التلقي أنّ التركيز على القارئ هو تركيز على النصّ أو من أجل النصّ، وبهذا حاولت نظرية التلقي من خلال أبرز علميها أن تقدّم مجموعة من المفاهيم النظرية والإجرائية البديلة للمفاهيم البنيويّة. فقد طرح ياكوس مفهوماً إجرائياً جديداً أطلق عليه اسم "أفق انتظار القارئ"، أو "أفق التوقع"، وأصبح هذا المفهوم يحتلّ موقعاً مركزياً في نظرية التلقي، وهو "مفهوم جماليّ يلعب دوراً مؤثراً في عمليّة بناء العمل الفنيّ والأدبيّ، وفي نوعية الاستقبال التي يلقاها ذلك العمل انطلاقاً من فكرة أن المتلقي يقبل على العمل وهو يتوقّع أو ينتظر شيئاً ما. فأفق الانتظار أو التوقع يمثل الفضاء الذي تتمّ من خلاله عمليّة بناء المعنى ورسم الخطوات المركزيّة للتحليل ودور القارئ في إنتاج المعنى عن طريق التأويل الأدبيّ الذي هو محور اللذة لدى نظرية التلقي" (صالح، 2001، ص47).

وفضلاً عن هذا ثبّه ياكوس على مفهوم "تغيّر الأفق" أو "بناء الأفق الجديد" باكتساب وعي جديد يدعوه بـ"المسافة الجماليّة" أي المسافة الفاصلة بين الانتظار الموجود سلفاً والعمل الجديد، حيث يمكن للمتلقي أن يؤدي إلى تغيير الأفق بالتعارض الموجود مع التجارب

المعهودة، ويخيب ظن المتلقي في مطابقة معايير السابقة مع معايير العمل الجديد، وتتم عملية بناء المعنى وإنتاجه داخل مفهوم أفق الانتظار فيه يتفاعل تاريخ الأدب والخبرة الجمالية بفعل الفهم عند المتلقي (صالح، 2001، ص 54).

وخطا يبرز خطوات أكثر إيجالا في إشراك الذات المتلقية في بناء المعنى بواسطة فعل الإدراك. رأى أن الفهم الحقيقي للنص ينطلق من القارئ الذي هو المنتج الحقيقي للنص عبر عملية القراءة التي هي "تفاعل بين النص الذي يحتوي على إمكانات دلالية والقارئ الذي يحمل الكفاءات التأويلية. ومهما حاول القارئ كشف أبعاد النص ودلالته، فإن ما يتوصل إليه مجرد صورة من صور القراءة" (ولعة، 2007، ص 183). وهو ما يبرز العلاقة القوية بين القراءة ذاتها وبين ما يملكه القارئ من مكون ثقافي، إذ لا يمكن للقارئ أن يلج أعماق النص ما لم يكن مؤهلاً معرفياً.

إنّ التركيز على عنصر الذات القارئة في التعامل مع الظاهرة الأدبية مرتبط بطبيعة تحديد المعنى في النص الأدبي. والذي يحدد إمكانات تأويل تلك المعاني هو القارئ اعتمادا على مجموعة من القرائن النصية التي تمنح القارئ حرية أكبر في تحديد المعنى، أو المعاني التي يتضمنها النص، أو خلق معاني أخرى بطرق مختلفة. ما يهم إيزر في قراءة كل عمل أدبي هو التفاعل بين بنية النص ومتلقيه. وما كتابه "فعل القراءة" (L'acte de lecture) إلّا محاولة لتصميم نظرية في القراءة باعتبارها شرطا مسبقا ضروريا لجميع عمليات التأويل التي تكمن أهميتها في تفجير الطاقات الدلالية الاحتمالية الكامنة في النص بفضل المشاركة الفعالة للقارئ، الذي هو عند إيزر مرتبط بمبدأ النص المفتوح على آفاق رحبة (حلاسي، 2018، ص 202). وهذا ما يفسر تعدد قراءات المتلقي الواحد وتباينها تبعا للشروط والقوانين التي تخضع لها الممارسة التأويلية برمتها. ومعنى ذلك أنّ فعل القراءة، هو الذي يجعل النص الأدبي مفتوحاً على التأويلات المتعددة واللا نهائية، وقابلاً لإعادة الإنتاج، والتشكّل في صور متجددة؛ وذلك من خلال عمليتي التفسير والتأويل، وهو بذلك يحاول أن يسلك مسلكاً يهدف إلى نوع من التقارب بين الذات والموضوع، بين القارئ والنص، لأنّ المعنى في نظره نتيجة التفاعل بين الطرفين، بين النص والقارئ خلافاً للتأويل التقليدي الذي يركز اهتمامه على توضيح المعنى الخفي في النص.

إنّ القراءة التي يعينها إيزر، هي تلك التي لا تنظر إلى التواصل على أنّه علاقة ذات اتجاه واحد، من النص إلى القارئ، بل تنظر إلى التواصل في اتجاهين متبادلين من النص إلى القارئ ومن القارئ إلى النص في إطار علاقة تفاعلية. كذلك اهتم إيزر بقضية بناء المعنى، وطرائق تفسير النص من خلال اعتقاده أنّ النص ينطوي على عدد من الفجوات، التي تستدعي قيام المتلقي بعدد من الإجراءات لكي يكون المعنى في وضع يحقق الغايات القصوى للإنتاج، وهو يكشف بذلك، عن أنّ النص يتضمن حتمية تشكل ركنا أساسيا من وجوده إنّما ماثلة فيما يطلق عليه إيزر "القارئ الضمني"، والذي الذي هو مجموع التوجهات الضمنية أو البنية النصية الموجودة داخل النص والتي تحدّد أدواراً لأيّ قارئ فعلي (المربط، 2010، ص 189).

وبهذا كان البحث عن كيفية أن يكون للنص معنى لدى القارئ، معنيّ ينشأ نتيجة للتفاعل بين القارئ والنص باعتباره أثراً يمكن ممارسته نقطة انطلاق عند إيزر الذي كانت مشكلة المعنى لدى القارئ هي المنطلق الحقيقي لاهتماماته. كان دائما يتساءل: هل ثمة معنى حقيقي للنص؟ وهو بهذا "حاول أن يقدم رؤية تتعارض مع التفسير التقليدي الذي حاول أن يوضح المعنى المخبي في النص، فرأى المعنى في إطار كونه نتيجة للتفاعل بين النص والقارئ أي بوصفه أثراً يمكن ممارسته، وليس موضوعاً يمكن تحديده" (المربط، 2010، ص 124).

يتّضح من كل هذا أنّ رواد نظريّة التلقّي، لعبوا دوراً جوهرياً في طرح بعض الحلول المنهجية لأزمة البحث في مجال الثقافة والأدب، ودعوا إلى ضرورة إعادة النظر في القواعد القديمة، التي تحكم الدراسات الأدبية والفنية. وبهذا كانت نظرية التلقّي النموذج الجديد، الذي يمكن اعتماده في قراءة الأعمال الأدبية والفنية، وأداة إجرائية في تعليمية النصوص الأدبية في مرحلة الجامعة، باعتبار الطالب/المتعلم/المتلقّي هو منتج ثاني للنص وليس مستهلكاً فقط للمعلومات، التي يقدمها المعلم/المُرسل. وبالتالي التركيز على دور القارئ/المتلقّي/المتعلم في النص الأدبي كمدخل لتدريس الأدب، أو تعليمية النصوص الأدبية، وهو مدخل جديد يتفق ونتائج الدراسات التربوية والنقدية، وهذا المدخل الجديد في تدريس الأدب يتمثل في مدخل التلقّي.

6. خاتمة:

نخلص مما سبق، إلى أنّ نظرية التلقّي ترتكز على مجموعة من الأسس، التي يمكن اعتمادها كإجراءات تطبيقية على تعليمية النصوص الأدبية، وتتمثل فيما يأتي:

- 1- التركيز على أهمية القراءة بوصفها مهارة لغوية وأداة دينامية من أدوات التعليم التي يعتمد عليها الطالب في تعلمه ومن خلالها يمارس صنع الدلالة بنفسه عن طريق إثارة خبراته السابقة والمتعلقة بالموضوع، خاصة أنّ النص مهما كان نوعه ودرجة وضوحه يحتوي على ثغرات وفجوات يملؤها القارئ من خبرته السابقة.
- 2- التأكيد على أهمية القراءة الواعية التي تعمل على تطوير الذات المتعلمة مع التركيز على دور القارئ/المتلقّي/المتعلم فيها.
- 3- ترك الحرية للمتلقّي/القارئ/المتعلم في استقبال النص. والتركيز على دوره الفعال كذات واعية لها نصيب الأسد من النص وإنتاجه.
- 4- أفق الانتظار أو التوقّع يمثل الفضاء الذي تتم من خلاله عملية بناء المعنى، فالمعنى يكمن في السياق العقلي للقارئ فهو الذي يضيف المعنى في أثناء القراءة على النص المقروء.
- 5- العناية بتحديد العمليات العقلية التي يقوم بها القارئ في أثناء قراءة النص.
- 6- النص ليس منتجاً سابق التجهيز، بل تحقّقه وإخراجه إلى الوجود يتم على يد القارئ/المتعلم الذي هو قوة فعالة نشطة مشاركة مبدعة منتجة.
- 7- التجاوب بين القارئ والمقروء يظهر أثره في فكر القارئ وعمله.

قائمة المراجع

- 1- إبرير، بشير. (2007). تعليمية النصوص بين النظرية والتطبيق. ط1. عمان: عالم الكتب.
- 2- إعداد هيئة تأطير بالمعهد الوطني لتكوين مستخدمي التربية وتحسين مستواهم. (2004). تعليمية الأدب العربي للتعليم الثانوي. الجزائر.
- 3- إعداد هيئة تأطير بالمعهد الوطني لتكوين مستخدمي التربية وتحسين مستواهم. (2004). تعليمية الأدب العربي للتعليم الثانوي. الجزائر.

- 4- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم. (1988). لسان العرب. مادة (علم). تقديم الشيخ عبد الله العلايلي. بيروت: دار الجيل - دار لسان العرب.
- 5- البحيري، سعيد حسن. (1997). علم لغة النص المفاهيم والإجراءات. ط1. مصر: مكتبة لبنان ناشرون. الشركة المصرية للنشر.
- 6- بن خلدون، عبد الرحمن. (دت). المقدمة. تحقيق: بن سعيد، ابن عبد الرحمن عادل. القاهرة: الدار الذهبية.
- 7- حلاسي، وردة. (2018). المسرح الجزائري المعاصر (2004-2014) بين النص والعرض - دراسة سيميائية في نماذج مختارة. رسالة دكتوراه في الأدب العام والمقارن، جامعة باجي مختار، الجزائر.
- 8- صالح، بشرى موسى. (2001). نظرية التلقي أصول وتطبيقات. ط1. المغرب: المركز الثقافي العربي.
- 9- اللجنة الوطنية للمناهج. (دت). مشروع الوثيقة المرافقة لمنهاج السنة الأولى من التعليم الثانوي العام والتكنولوجي. الجزائر.
- 10- مديرية التعليم الثانوي. (1995). منهاج اللغة العربية وآدابها، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية. الجزائر.
- 11- مديرية التعليم الثانوي والتقني. (دت). برنامج اللغة العربية وآدابها لشعب التعليم الثانوي والتقني السنة الثانية والثالثة ثانوي. الجزائر.
- 12- المغيلي، خدير. (2010)، تعليمية النص التعليمي للغة العربية وآدابها في الجامعة. مجلة الواحات للبحوث والدراسات. العدد 08. ص 360-373.
- 13- مفتاح، محمد. (1997). مساءلة مفهوم النص. وجدة: منشورات كلية الآداب والعلوم. جامعة محمد الخامس.
- 14- هتي، خير الدين. (2005). مقارنة التدريس بالكفاءات. ط1. مطبعة ع/بن.
- 15- ولعة، صالح. (2007). القراءة والتأويل. مجلة التواصل الأدبي. المجلد 1، العدد 1. ص 180-196.
- 16- المرابط، عبد الواحد. (2010). السيميائية العامة وسيميائية الأدب، من أجل تصوّر شامل. ط1. الجزائر: منشورات الاختلاف.